
العدد
٤٩
السنة ١٢ - المجلد ١٢
ISSN (Print): 2071-6028
ISSN (Online): 2706-8722
بحوث في الفكر
الاستدلال
بدليل نظام الكون
على وجود الله تعالى
بين المتقدمين والمحدثين
الأستاذ المساعد الدكتور
إسماعيل محمد عواد
جامعة قطر
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
dr.ismail.69@gmail.com
البحث رقم (١١)

ملخص باللغة العربية

أ.م.د. إسماعيل محمد عواد

يقصد بدليل نظام الكون، الدليل الذي يعتمد النظام المشاهد والصنع المتقن والإبداع المحكم في الكون وفي الإنسان للاستدلال به على وجود الله. وقد أكثر القرآن من ذكر هذا الدليل في العديد من آياته مما يؤكد أهميته. كما يبين هذا البحث أن العديد من المتكلمين الأوائل على اختلاف مدارسهم وتنوع منهجياتهم اعتمدوا هذا الدليل في الاستدلال؛ لا بل أن منهم من أفرد له المصنفات، كما فعل الجاحظ والغزالي والرازي وابن رشد وابن تيمية وابن القيم. وفي العصر الحديث أعيد طُرح هذا الدليل بقوة بفضل الاكتشافات العلمية التي عضّدت من حجته وساندت من منطقه لتؤكد أن العلم يدعم الإيمان. ولعل في هذا ما يدعو المتكلمين المعاصرين من مختلف مدارسهم إلى الاعتناء به كأحد الأدلة القوية على وجود الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وآله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية: الدليل، نظام الكون، وجود الله

INFERRING THE EVIDENCE OF THE UNIVERSE SYSTEM ON THE EXISTENCE OF GOD AMONG THE EARLY AND MODERN THEOLOGIANS

Asst. Porf. Dr. Ismail Al-Kubaisi

Summary:

The evidence that relies on the universe system means what is seen of the amazing universe and precise creativity, in both the universe and the human to prove the existence of God, The Qur'an mentioned this evidence in many of its verses and among the folds of its texts, which confirms its importance. This research showed that the early theologist of all schools and their methodologies depended on it in inference. Indeed, some of them singled out the compilations, as did al-Jahiz, al-Ghazali, al-Razi, Ibn Rushd, Ibn Taymiyyah and Ibn al-Qayyim. In the modern era, this evidence has been strongly reintroduced due to the scientific discoveries that supported such argument and logic to confirm that science supports faith, perhaps this what led contemporary theologian of different schools to adopt it as a strong evidence on the existence of God. And the last of our prayer is that praise be to God, Lord of the worlds, and may God's prayers and peace be upon his faithful Prophet, his family and all his companions.

Key words: *Evidence, the system of the universe, God existence*

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

نهضت أدلة عدة على وجود الله منها دليل الفطرة ودليل الحدوث ودليل الوجوب والإمكان والدليل الأخلاقي، ومنها أيضا دليل نظام الكون موضوع بحثنا، وعلى الرغم من كثرة الدراسات المتقدمة في الاستدلال على وجود الله، سواء ضمن كتب علم الكلام والعقيدة عموماً، أم في أبحاث مستقلة، لكن هذه الدراسة: **(الاستدلال بدليل نظام الكون على وجود الله تعالى بين المتقدمين والمحدثين)** سلطت الضوء على هذا الدليل، من خلال نماذج مما سطره المتقدمون والمحدثون في تقديم هذا الدليل، مع بيان أهم الإضافات المطروحة والاعتراضات الواردة.

ويهدف هذا البحث إلى:

١- توضيح جهود العلماء المسلمين قدامى ومحدَثين في الموضوع.

٢- تحصين أفراد المجتمع من أفكار الإلحاد.

٣- تحفيز المعاصرين على الاهتمام بهذا الدليل والتطرق لأهم المستجدات فيه.

وفي ضوء ما سبق جاءت خطة البحث كالآتي: تمهيد في التعريف بدليل نظام الكون، المطلب الاول: دليل نظام الكون في القرآن الكريم، المطلب الثاني: دليل النظام عند المتكلمين والفلاسفة، المطلب الثالث: دليل نظام الكون عند المحدثين، المطلب الرابع: أهم الإضافات والاعتراضات على دليل نظام الكون، ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج، والتوصيات.

تمهيد:

في التعريف بدليل نظام الكون

أولا: تعريف دليل نظام الكون:

أ- تعريف الدليل:

الدليل لغة: ما يُستدلّ به(١).

وفي الاصطلاح: كل ما يُتوصل به إلى غيره أو هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر(٢). وأما **الاستدلال:** فهو تقرير الدليل لإثبات المدلول.

ب- أما النظام في اللغة: فيراد به: الجمع والتأليف والاتساق بشكل مرتب ومنظم كالسلك الذي تنتظم فيه حبات اللؤلؤ قال الزبيدي: "نَظَمَ اللُّؤْلُؤَ يَنْظِمُه نَظْمًا ونِظَامًا، بِالكَسْرِ ونَظَّمَه تَنْظِيمًا: أَلَّفَه وجَمَعَه فِي سِلْكٍ فانْتَظَمَ وتَنَظَّم.... والانْتِظَامُ: الاتِّسَاقُ"(٣).

ج- وأما الكون: ففي اللغة؛ هو الإخراج إلى الوجود. كَوَّنَ اللهُ الأَشْيَاءَ تَكْويناً: أَوْجَدَها، أَي أَخْرجَها مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجودِ(٤).

وفي الاصطلاح: هو عبارة عن وجود العالم وهو كل ما سوى الله من الموجودات(٥).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، الكويت، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام، ط٢، ١٩٩٣م: ٥٠١/٢٨، ٥٠٢.

(٢) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ص٩١.

(٣) تاج العروس، الزبيدي، ٤٩٦/٣٣-٤٩٩.

(٤) تاج العروس، الزبيدي،٧١/٣٦.

(٥) معجم التعريفات، الجرجاني، ص١٥٨، ١٢٢.

أما المقصود بدليل نظام الكون:

فهو الدليل الذي يستدل به على وجود الله تعالى، من خلال الصنع المتقن في الكون، باعتبار أن المخلوقات قد أُحكمت بنظام دقيق تسير وِفقه لا ينخرم ولا يتغير. ويمكن تعريفه أيضا: أنه دليلٌ يقينيٌ مركب يعتمد في صياغته على الدلائل الحسية المباشرة وعلى المبادئ العقلية الأولية ليتوصل به إلى وجود الخالق سبحانه. فالدلائل الحسية هي النظام المشاهَد، وأما المبادئ العقلية فالاستدلال بالأثر على المؤثر(١).

والفرق بين دليل نظام الكون ودليل الحدوث أن الأخير يتخذ من المخلوقات دليلا على وجود الخالق فحسب، أما دليل النظام فإنه يزيد على ما تقدم أن هذه المخلوقات تدل على قصد في تكوينها وحكمة في تسييرها وتدبيرها(٢).

ثانيا: خصائص الدليل وسماته:

يتسم دليل نظام الكون بالخصائص الآتية:

١- **أنه شرعي وعقلي وحسي**: فهو شرعي ورد بكثرة في القرآن الكريم وعلى لسان الرسل(٣)؛ كما أنه مقرّرٌ في الحس، تشهد الملاحظة بصدقه، وأيضا يؤيده العقل ويصدقه البرهان.

---

(١) لمزيد من الاطلاع، ينظر: شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، مركز تكوين للدراسات والبحوث، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص١٦٧، وما بعدها.

(٢) الله، عباس محمود العقاد، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م: ص١٤٤.

(٣) ذكر الإمام الرازي استدلال الأنبياء بدليل نظام الكون على وجود الخالق سبحانه؛ فإبراهيم وموسى عليهما السلام قدّما دلائل النفس على دلائل الأفلاك فقال إبراهيم: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾، ثم قال: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾، وموسى قال: ﴿ربكم وربّ آبائكم الأولين﴾، ثم قال: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ وعكس سليمان عليه السلام هذا الترتيب فقدّم دلائل السموات على دلائل النفس فقال: ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾، قال الرازي: "فاعلم أن موسى وإبراهيم عليهما السلام كانت مناظرتهما مع من ادعى إلهية البشر، فإن نمرود وفرعون كان كل واحد منهما كان يدّعي الإلهية، فلا جرم ابتدأ إبراهيم وموسى إبطال الإلهية للبشر ثم انتقلا إلى إبطال الإلهية للأفلاك. وأما سليمان عليه السلام فإنه كانت مناظرته مع من يدّعي إلهية الشمس فإن الهدهد قال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾، فلا جرم ابتدأ بذكر السماوات ثم ذكر الأرضيات". محمد بن عمر بن الحسين الرازي، أسرار التنزيل وأنوار التأويل، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٤، ٢٠١٦م: ص٣٨.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

فوجود نظام في هذا الكون دون وجود منظّم يدبره ويشرف عليه أمر غير سائغ عقلا ولا حسّا.

٢- سهل المقدمات سهل النتائج: يُدرك بسهولة دون تشتت أو جدال، فكل إنسان يستطيع أن يصل من الأثر إلى المؤثر ومن الصنعة إلى الصانع، ومن النظام إلى المنظّم(١).

٣- يستدل به العوام والخواص: العوام يدركونه على وجه الإجمال، والخواص يعرفونه بتفاصيله.

٤- يُستدل به على أمهات قضايا العقيدة: كوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر(٢).

٥- حيوي متجدد: يتجدد طرحه كلما تجددت الكشوفات العلمية مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾(٣).

٦- يبيّن أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وتجلّياتها في هذا الكون: يقول الغزالي: "فارفع نظرك إلى البارئ العظيم واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم وعلى جلاله وقدرته وعلمه ونفوذ مشيئته وإتقان حكمته في بريته"(٤).

---

(١) من ذلك ما قيل لبعض الأعراب: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير؟

(٢) نبّه تعالى خلقه على أنه واحد باتساق أفعاله وترتيبها وأنه تعالى لا شريك له فيها قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. فلو كان إلهان ما اتسق أمرهما على نظام، ولا تم على إحكام. أما اليوم الآخر فقد استدل عليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فمن خلق الإنسان بهذه الصورة العجيبة أول مرة قادر على إعادته مرة أخرى. وقد حاجج القرآن على مسألة التوحيد أكثر لأن الجحود بها كان أكبر. د. محمد عياش الكبيسي، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ١٩٩٥م (رسالة دكتوراه منشورة): ص٧٩.

(٣) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٤) الحكمة في مخلوقات الله، أبو حامد محمد بن احمد الغزالي، تحقيق الدكتور محمد رشيد قباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٧٨م: ص١١١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ويقول سيد قطب: "فالقرآن يوجه النفس إلى جمال السماء وإلى جمال الكون كله لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود"(١).

٧- **ينهض بقوة في دحض المفتريات وتفنيد الشبهات التي تعترضه**: لأن الشواهد الحسية تدعمه بقوة.

٨- **أنه محل اتفاق لدى سائر أهل الملة بلا خلاف**: فالكل متفق على الاستدلال به متكلمين وفلاسفة قدامى ومحدَثين.

رابعاً: أسماؤه:

لدليل نظام الكون أسماء متعددة نتيجة لتعدد صور الإتقان والإحكام، وتنوّع المشاهد الدالة على ذلك. ومن أهم أسمائه:

١- **دليل العناية**: سمّاه بذلك ابن رشد لأن الكون وضع على هيئة دقيقة موافقة لمصالح الإنسان ومنافعه الحياتية وأنه قد تم بناؤه على هيئة تجعله ملائما تماما لنشأة الإنسان، وقد أدت الكشوفات العلمية الحديثة إلى إنتاج مفهوم جديد لدى الغرب أطلقوا عليه اسم "المبدأ الإنساني"(٢)، ونرى أنه متوافق في فكرته مع دليل العناية.

٢- **دليل التخصيص**: سماه بذلك المتكلمون أمثال الجويني باعتبار أن الكون خصص فيه كل جزء بصورة وتقدير مناسب لطبيعته ووظيفته المتعلقة به(٣).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، تفسير سورة الملك، الآيتان ٥-٦.

(٢) المبدأ الإنساني يعني: أن الكون جعل على هيئة تلائم تماما نشأة الإنسان. وكلما زادت معارفنا عن نشأة الكون وبنيته تكشف لنا بشكل أكبر مدى موائمة هذه النشأة لحياة الإنسان. يقول فريمان دايسون: "كلما فحصت الكون أكثر ودرست تفاصيل معماره وجدت دلائل متنامية على أن الكون بمعنى من المعاني كان يعلم أننا قادمون". عمرو شريف، رحلة عقل، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠١١م: ص١٣٩، ١٤٠.

(٣) عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٢م: ص١٧-٢١.



ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

٣- **دليل الأنفس والآفاق**: سماه بذلك الرازي وابن الوزير [١].

٤- **دليل التصميم**: باعتبار أن الكون قد صُمّم وبُني بصورة دقيقة مذهلة مبهرة وكل جزء فيه يؤدي وظيفة دقيقة أحيطت به ولو حصل أي تغيير في المقدار أو المكان لوقعت آثار عظيمة وهذا الاسم مشتهر كثيرا عند العلماء المشتغلين بالعلوم التجريبية الحديثة.

٥- **برهان الغاية**[٢]: وهو الدليل القائم على فكرة أن للعالم نظاما ركّب على نحو معين ليحقق غاية ما ويستنتج وجود صانع مدبر لهذا النظام ومُحققَّة فيه الغاية منه وقد ظهر هذا الدليل عند فلاسفة اليونان مثل أفلاطون وأرسطو والمسلمين كالكندي. وثمة أسماء أخرى، كتسميته بدليل التسوية باعتبار أن الخلق سوّيت صورته بأحسن شكل وأكمل صنعة بحيث لا يمكن أن تجد فيه أي خلل أو اضطراب. ودليل الهداية باعتبار أن كل جزء في الكون قد هُدي لما خُلق له وأُلهم غاية وجوده ويُسّر له الطريق لبلوغها، ودليل الإتقان والإحكام ودليل التسخير والحركة والتقدير [٣].

---

(١) التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م: ١٠٧/٢، إيثار الحق على الخلق، أبي عبد الله محمد بن مرتضى اليماني، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م: ص٤٥.

(٢) يقوم هذا البرهان في جوهره على الانطلاق من العالم الطبيعي وما فيه من ترتيب ونظام وعناية للتوصل إلى إثبات أن وراء هذا العالم غاية واحدة؛ إذ إنه من المستحيل أن تتوافق أشياء مختلفة في نظام واحد إذا لم توجد علة مدبرّة للكون هي التي أحدثت التوافق. ولما كان الكون متوافقاً على اختلاف أشيائه دوماً كان من الضروري الإقرار بوجود علّة حكيمة مدبرة هي التي أوجدت هذا النظام.

(٣) ثمة عدد من العلماء والباحثين تعامل مع كل اسم من هذه الأسماء على أنه دليل مستقل وانطلق في الاستدلال من حيثية معينة، وقدم له طروحات مختلفة. والذي أراه أنها مسميّات متعددة لاسم واحد، أما التنويع فلإثارة الانتباه.

المطلب الأول:

دليل نظام الكون في القرآن الكريم

إن دلائل وجود الله عن طريق نظام الكون أخذ مساحة واسعة من القرآن الكريم، قال العقاد: "لم تتكرر البراهين على إثبات وجود الله في كتاب من كتب الأديان السابقة كما تكررت في القرآن الكريم"(١). ولننظر في الآتي:

١- دعا القرآن إلى التأمل والنظر في الكون ليتوصل الإنسان منه إلى وجود الله كنتيجة حتمية لا تختلف في صدق نتائجها عن صدق نتائج القوانين الرياضية ولنأخذ على سبيل المثال هذه الآيات التي عرفتنا بالخالق من خلال آثاره:

- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٢).
- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾(٣).
- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾(٤).

---

(١) الله، العقاد، ص٢٠٩.

(٢) سورة الروم، الآية ٤٨.

(٣) سورة غافر، الآية ٦١.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

٢- وجّه القرآن الإنسان إلى النظر في الموجودات والتأمل فيها وتدبرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾(١).

وهذا ليُعلم من حالها ضرورة افتقارها إلى خالق لها، مدبر لأمرها ولننظر الآتي:

- نبّه القرآن إلى براهين تحول المادة الجامدة الصمّاء إلى حياة فقال تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾(٢)، فكيف تبعث الروح الحياة في المادة والتي هي أصلا بلا حياة؟ إنها إرادة الله قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾(٣).
- التنبيه إلى مراحل التخلق والتكوين عند الإنسان: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾(٤).
- التنبيه إلى التصميم المحكم والصنع المتقن: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾(٥).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾(٦).

---

(١) سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠.

(٢) سورة الروم، الآية ١٩.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٠.

(٤) سورة المرسلات، الآيتان ٢٠-٢١.

(٥) سورة ق، الآيتان ٧-٨.

(٦) سورة فاطر، الآية ٤١.



- التنبيه إلى مبدأ العناية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[١].
- التنبيه إلى مبدأ الزوجية القائمة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾[٢].
- التنبيه إلى الوجود المنتظِم المتسّق المرتبط بعضه ببعض بنسب في غاية الدقة والكمال: قال تعالى: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[٤].

فالأرض بموقعها هذا صالحة للحياة قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾[٥]، ودورة الفلك مضبوطة لا تختل قيد شعرة قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾[٦]، والليل والنهار كلٌّ في موعده لا يتخلف عنه قال تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[٧]، وخواص المادة هي هي، لم يحدث أن أخطأت مادة خاصيتها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[٨]، فلم يحدث مرة أن تكون الماء إلا من ذرة أوكسجين وذرتين من الهيدروجين كما لم يحدث مرة أن يُسخّن الحديد فلا يتمدد أو أن يطرق النحاس فلا ينطرق، والذرة تتألف من النواة هي البروتونات والإلكترونات وتدور النيوترونات حولها في وضع يشبه دوران الكواكب حول الشمس.

إن هذا الانتظام المشاهَد بهذه الدقة وهذا الكمال لا يمكن لعاقل أن يصدق أنه حصل دون وجود إله قادر حكيم عليم خبير[٩].

---

(١) سورة النبأ، الآيتان ٦–٧.
(٢) سورة الذاريات، الآية ٤٩.
(٣) سورة الفرقان، الآية ٢.
(٤) سورة الملك، من الآية ٣.
(٥) سورة الرحمن، الآية ١٠.
(٦) سورة الرحمن، الآية ٥.
(٧) سورة يس، من الآية ٤٠.
(٨) سورة القمر، الآية ٤٩.
(٩) ركائز الإيمان، محمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠١م: ص٤٧.

المطلب الثاني:

دليل النظام عند المتكلمين والفلاسفة

يستخدم الفلاسفة والمتكلمون عدة أدلة على وجود الله منها: دليل الحدوث ودليل الوجوب والإمكان ويصوغونها من نفس الوجود، أي من حيث هو بغض النظر عن الواقع المشاهد ويرون أن تصور الذهن للوجود يؤدي به حتماً الى الاعتراف بواجب الوجود(١)، من غير أن يعني هذا بطبيعة الحال إهمالهم لدليل نظام الكون كما سنرى.

أولا: المعتزلة:

تحدّث المعتزلة عن دليل نظام الكون واستخدمه بعضهم للتدليل على صفات الله كالعلم والحكمة(٢)، لكن الجاحظ يكاد الوحيد من المعتزلة الذي تحدث عنه بشكل موسّع

---

(١) الحدوث والإمكان والوجوب دليلان عقليان استدل بهما الفلاسفة والمتكلمون على وجود الله فأما دليل الحدوث فقائم على النظر إلى ماهية هذا الكون وأجزائه التي يتركب منها وهي (الجواهر والأعراض) ليصلوا منها إلى حدوث العالم ومن ثم إثبات المحدِث له من حيث إن العقل يثبت عجز الحوادث عن الخلق والإيجاد فلا بد إذن أن يكون الفاعل مخالفا للأجسام الحادثة وهو الله تعالى. وقد واعتمده المتكلمون بشكل رئيسي للرد على الملحدة والدهرية وأصحاب الطبائع الذين يقولون إن العالم قديم. أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، المختصر في أصول الدين: ص٢٠٣، ٢٠٨.

(٢) كبار المعتزلة مثل إبراهيم النظام والقاضي عبد الجبار وشيخه أبو هذيل العلاف يعولون على دليل الحدوث. فالقاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ركّز على هذا الدليل وشرحه وفصّل في إثباته وإثبات سلامة مقدماته من خلال إثباته أن الأعراض والأجسام حادثة وأن العالم الذي يتألف منها حادث ثم حدوث العالم دلالة على أن له محدثا ثم أخذ في وضع القسمة العقلية لهذا المحدث.. أما دليل النظام الكوني فقد تعرض له لإثبات صفات الله مثل كونه ﷻ عالما قال: "وتحرير الدلالة على ذلك–أي كونه عالما– هو أنه قد صح منه الفعل المحكم، وصحة الفعل المحكم دلالة كونه عالما" ثم قال: "أما الذي يدل على أنه تعالى قد صحّ منه الفعل المحكم فهو خلقه للحيوانات مع ما فيها من العجائب وإدارته للأفلاك وتركيب بعضها على بعض وتسخيره الرياح وتقديره الشتاء والصيف.."، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م، ص٦٥، ١٨٣، ومذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م، ص٤٠٨.

في كتابه "دلائل الاعتبار"، وكتابه هذا يمثل تعبيرا عن فلسفة أهل الاعتزال في الاستدلال على الله من خلال إحكام الصنعة وحسن التدبير وعجيب الحكمة.

فقد ذكر الجاحظ في مقدمته للكتاب أنه وضعه لتقوية دواعي الإيمان ضد من ينكر خلق الأشياء، أو أنها وضعت مهملة من غير إتقان أو تدبير ووصف هؤلاء بالمعطّلة وأنهم طائفة تدعى بالمنانية(١)، ودعا المسلمين إلى الاجتهاد في نشر الشواهد الدالة على حسن التدبير(٢).

ثم بعد هذه المقدمة انتقل الجاحظ إلى سوق الدلائل الكونية التي تكشف عن القصد والتدبير في الكون قائلا: "إنك إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني: السماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر... والإنسان كالمالك للبيت المخوّل لما فيه وضروبُ النبات مهيّأةٌ لمآربه وصنوف الحيوانات مصرّفة في مصالحه؛ وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبر وتقدير ونظام وأن الخالق له واحد هو الذي ألّفه ونظّم بعضه إلى بعض"(٣) ولعل أبرز الحقائق التي أوردها الجاحظ ما يأتي:

---

(١) المنانية هم المانوية أتباع ماني والذي ظهر مذهبه في بلاد فارس يقولون: بأزلية النور والظلمة. قال الشهرستاني: "اختلفت المانوية... قال بعضهم: إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار" أي لا يوجد قصد ولا نظام وأطلق المسلمون عليهم وعلى الديصانية والمزدكية ومن تأثر بأفكارهم من العرب وصف الزنادقة. الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٢، والفهرست، محمد بن إسحق النديم، بيروت، دار المعرفة، ص٤١٠، الملل والنحل، محمد عبد الكريم احمد الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسسة الحلبي للنشر، ١٩٦٨م: ٥٢/٢، والزنادقة، عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم، د. سعد بن فلاح العريفي، الرياض، دار التوحيد للنشر، ١٤٣٣هـ: ٣٣/١.

(٢) دلائل الاعتبار، الجاحظ: ص٥.

(٣) المصدر نفسه: ص٦.



الحقيقة الأولى: التناسق بين تركيب الشيء وبنيته وبين معاشه ووظيفته

ولهذه الحقيقة شواهد كثيرة عنده نأخذ منها على سبيل المثال[١]:

١- **بنية الحيوان**: فلو كانت صلبة كالحجارة لما استطاعت أن تنثني وتتصرّف في أعمالها ولو كانت في غاية اللين والرخاوة لن تتحامل؛ فجعلت من لحم رخو يتثنّى بتداخله عظام صلبة تمسكه وعصب وعروق تشده ونُظّم بعضه إلى بعض ثم غلّفت بجلد يشتمل البدن كله.

٢- **الإنس**: لما كانوا قادرين على الصناعة والبناء خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ تتمكن من القبض على الأشياء ومزاولة الصناعات.

٣- **آكلات اللحم من الحيوان**: خلقت خلقة تشاكل طبعها وتناسب معاشها فجعلت ذوات أسنان حادّة وأفواه واسعة وسباع الطيور أعطيت مناقير ومخالب مهيأة لفعلها ولو أعطيت الوحوش مخالب لأعطيت ما لا تحتاج إليه ولو كانت السباع ذوات أظلاف لما انتفعت منه بشيء، أفلا ترى كيف أُعطي كلٌّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنعته وما فيه بقاؤه وصلاحه؟

٤- **السمك**: لم تخلق له قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي، وأعطي بدلا من ذلك أجنحة تعينه على السباحة.

الحقيقة الثانية: وضع الشيء في موضعه المناسب: فحواسّ الإنسان التي منها تُشرف النفس على حقائق الأشياء، جُعلت في الرأس كالمصابيح فوق المنارة وهو أنسب مكان لها ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تُجعل في اليد والرجلين فتتعرّض للآفات التي تصيبها جراء حركتها، ولا في البطن والظهر فيعسر تلقّيها واطلاعها نحو الأشياء، فكان الرأس هنا أنسب المواضع لها[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٥-٤٠.

(٢) دلائل الاعتبار، الجاحظ: ص٤٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الحقيقة الثالثة: التناسق بين المحسوس والحاسة ووجود الواسطة الضرورية بينهما: فلا يوجد محسوس إلا وخُلقت له حاسّة تكشف عن حقيقته وإلا كان وجوده بلا معنى. فالبصر خُلق ليدرك الألوان والسمع خُلق ليدرك الأصوات، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها، هل تكون في الألوان منفعة؟ ولو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها هل كان للأصوات جدوى؟ وهكذا سائر الحواس. ثم يقول: انظر كيف قُدّر بعضها تلقاء بعض فجعل لكل حاسّة محسوسا تعمل فيه ولكل محسوس حاسّة تدركه، ثم أشار إلى الواسطة التي بدونها لا تقوم تلك العلاقة بين الحاسة والمحسوس. فلو لو يكن ضياء يظهر اللون المبصَر لم يكن البصر ليدرك اللون، ولو لم يكن هواء ينقل الصوت لما أدرك السمع شيئا. ثم يقول: فهل يخفى على من صح نظره أن مثل هذا الذي وصفنا من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها تلقاء بعض وتهيئة أشياء أخرى بها تتم الحواس لا يكون إلا عن عمد وتقدير؟(١).

الحقيقة الرابعة: التناسق بين حاجات الإنسان والطبيعة:

فالإنسان بحاجة إلى مسكن يستقر فيه فوجد التراب للبناء وهو بحاجة للصناعة فوجد الحديد وبحاجة الى السفن فوجد الخشب وبحاجة للأواني فوجد النحاس وبحاجة للوقود فوجد الحطب وبحاجة إلى كساء فوجد القطن والوبر؛ ويزيد الجاحظ في بيان هذا التناسق منطلقا من الحكمة القائلة: (رأس معاش الإنسان: الخبز والماء) فيقول: "فلأن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز وذلك أن صبره على الجوع أكبر من صبره على العطش، ولأنه يحتاج للماء في وضوئه وشربه، جُعل مبذولا لا يُشترى بثمن لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه. أما الخبز فقد جُعل مقدّرا لا يُنال إلا بالحيلة ليكون له في كسبه شغلٌ يكفّه عما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث"(٢).

---

(١) دلائل الاعتبار، الجاحظ: ص٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٦٣، ٦٤.

وهكذا نرى الجاحظ بثاقب نظره يقدم طرحا دقيقا لدليل نظام الكون منطلقا من مقدمات تتناسب ومعطيات العصر آنذاك ليفند الزعم القائل بالاتفاق، وليبين أن وراء هذا الكون بهذا الوضع قصدا وتدبيرا.

ثانيا: الأشاعرة:

تحدث الأشاعرة عن دليل النظام، فقد تحدّث عنه أبو الحسن الأشعري في كتابيه: "اللمع ورسالة إلى أهل الثغر". ففي رسالته إلى أهل الثغر انطلق من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[(١)]، ووظّفها في مسألة الوجود الإلهي، ذاكرا أن هذه التقلبات من حال لحال تدل على حدوث الإنسان، ويدل ترتيب ذلك على وجود محدِث قادر حكيم قاصد إلى هذا الترتيب لأن العقل يحيل وجود ترتيب من غير مرتِّب. وفي كتابه "اللمع" نجده يصدّر كتابه قائلا: "إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما وعظما... ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا فدلّ ما وصفنا على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه وأن له ناقلا نقله من حال إلى حال ودبّره على ما هو عليه"[(٢)]، كما إننا نرى القطن لا يتحول ثوبا منسوجا دون ناسج وصانع ومدبر وإن من قصد إلى بريّة ولم يجد فيها قصرا مبنيا فانتظر أن يتحوّل الطين إلى حالة الآجر وينتضد بعضه على بعض بغير صانع ولا بانٍ "كان عن المعقول خارجا وفي الجهل والجا"[(٣)].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

(٢) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مصر، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٥م، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه: ص١٨.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

أما الغزالي فقد تحدّث عن دليل الكون في كتابه "الحكمة في مخلوقات الله" فقد بيّن الغزالي سبب تأليفه للكتاب قائلا:" أما بعد: فاعلم يا أخي وفقك الله توفيق العارفين وجمع لك خير الدنيا والدين، أنه لما كان الطريق إلى معرفة الله سبحانه: التعظيم له في مخلوقاته والتفكر في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين وفيه تفاوت درجات المتقين؛ وضعتُ هذا الكتاب لعقول أرباب الألباب بتعريف وجوه من الحِكم والنعم التي يشير إليها معظم آي الكتاب، فإن الله تعالى خلق العقول وكمّل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته والتفكر والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته لقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، إلى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التي يفهمها كل ذي عقل سليم"[٣]، ثم شرع الغزالي بذكر أمثلة عديدة من الكون المشاهَد[٤].

أما الإمام الرازي فقد تحدّث عنه في كتابيه "أسرار التنزيل" وتفسيره المعروف بـ"فتوح الغيب" ففي كتابه الأول ذكر قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥]، فقال: "اعلم أن الله تعالى قدّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار والسبب فيه: أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع والأصل يجب تقديمه على الفرع فإنه ما لم يُعلم وجود صانع

(١) سورة يونس، الآية ١٠١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٣) الحكمة في مخلوقات الله، الغزالي، ص١٤.

(٤) من يدقق النظر في كتاب الغزالي يجد الشبه كبيرا بينه وبين "دلائل الاعتبار" للجاحظ وكأنهما واحد. والموضوع بحاجة إلى مزيد دراسة وتحقيق.

(٥) سورة محمد، الآية ١٩.

امتنع القيام بطاعته وخدمته"(١)، ثم شرع بذكر وجوه متعددة لإثبات هذا الأصل قائلا: "إن أكثر المفسرين أجمعوا على أن أول آيات أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ هي قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾(٢)، قال: "وهذه الآيات مشتملة على دلائل التوحيد... وذلك لأن أظهر الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم: تولّد الإنسان من نطفة.

وهنا نبّه الرازي إلى لطيفة جميلة قائلا: "فإن قال قائل: هاهنا ذكر تعالى أنه يولد الإنسان من النطفة فقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾، ثم قال: (﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾(٣)، فأيُّ مناسبة بين هذين الأمرين؟ والجواب: أن أخسَّ مراتب الإنسان وأدناها: العلقة وذلك لأنه يستقذرها كلُّ أحد وأعلى المراتب وأشرفها: كون الإنسان عالما محيطا بحقائق الأشياء، كأنه قال: عبدي: تأمل إلى أول حالك حين كنت علقة وهي أخس الأشياء، وإلى آخر حالك حين صرت ناطقا عالما بحقائق الأشياء وهو أشرف المراتب، حتى يظهر لك أنه لا يمكن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الدرجة الرفيعة الشريفة إلا بتدبير أقدر القادرين وأحكم الحاكمين" ومثال ثانٍ حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾(٤)، قال الرازي:" فبدأ أولا بإثبات الصانع وتوحيده وبيّن ذلك بخمسة أنواع من الدلائل: أولها: أنه استدل على التوحيد بأنفسهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾(٥)، وثانيها: بأحوال آبائهم وأجدادهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن

(١) أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الرازي، ص٢٣.
(٢) سورة العلق، الآيتان ١-٢.
(٣) سورة العلق، الآية ٥.
(٤) سورة البقرة، من الآية ٢١.
(٥) سورة البقرة، من الآية ٢١.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

قَبۡلِكُمۡ﴾[١]، وثالثها: بأحوال أهل الأرض وإليه الإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشًا﴾[٢]، ورابعها: بأحوال أهل السماء وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[٣]، وخامسها: بالأحوال الحادثة المتعلقة بالسماء والأرض وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ﴾[٤]، ولما ذكر هذه الدلائل الخمسة رتّب المطلوب عليها فقال: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٥]، قال الرازي: "إن هذه الدلائل تدلّ على وجود الصانع من وجه وعلى كونه تعالى واحدا من وجه آخر؛ فإنها من حيث إنها حدثت مع جواز ألا تحدث ومع جواز أن تحدث على خلاف ما حدثت به يدل على وجود الصانع القادر. ومن حيث إنها حدثت لا على وجه الخلل والفساد دلّت على وحدة الصانع القادر كما قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٦]، فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلائل الخمسة ذينك المطلوبين: أحدهما: إثبات الصانع والثاني كونه واحدا"[٧].

انتقل الرازي بعدها إلى مثال آخر فتحدث عن الوردة قائلا: "إذا نظرت إلى ورقة واحدة من أوراق الورد وجدت أن أحد وجهيها في غاية الحمرة والوجه الآخر في غاية الصفرة مع أنها تكون في غاية الرقة ونحن نعلم بالضرورة أن نسبة تأثير الكواكب وحركات الأفلاك والطبائع إلى كل واحد من وجهي تلك الورقة الرقيقة جدا من الورد

(١) سورة البقرة، من الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢٢.

(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة، من الآية ٢٢.

(٦) سورة الأنبياء، من الآية ٢٢.

(٧) أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الرازي، ص٢٥-٢٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

نسبة واحدة؛ فاختصاص أحد وجهي تلك الوردة بالحمرة والآخر بالصفرة لابد وأن يكون لأجل القادر المختار الذي يفعله بالعلم والقدرة، لا بالعليّة والطبيعة"(١).

وفي تفسيره المعروف: "فتوح الغيب" ذكر الرازي أن القرآن آياته طافحة بذكر هذا الدليل وسماه بدلالة "الأنفس والآفاق" ثم بين سبب ذلك قائلا: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَصَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْأَدِلَّةِ بِالْإِيرَادِ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ لِوَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ لَمَّا كَانَ أَقْرَبَ الطُّرُقِ إِلَى أَفْهَامِ الْخَلْقِ وَأَشَدَّهَا الْتِصَاقًا بِالْعُقُولِ، وَكَانَتِ الْأَدِلَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَبْعَدَهَا عَنِ الدِّقَّةِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْأَفْهَامِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ لَا جَرَمَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ ذَلِكَ. الثَّانِي: أَنَّهُ لَيْسَ الْغَرَضُ مِنَ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُجَادَلَةَ، بَلِ الْغَرَضُ مِنْهَا تَحْصِيلُ الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ فِي الْقُلُوبِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الدَّلَائِلِ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الطُّرُقِ فِي هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الدَّلَائِلِ كَمَا يفيد العلم بوجود الخالق فهو يذكر نِعَمَ الْخَالِقِ عَلَيْنَا، فَإِنَّ الْوُجُودَ وَالْحَيَاةَ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْنَا، وَتَذْكِيرُ النِّعَمِ مِمَّا يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَتَرْكَ الْمُنَازَعَةِ وَحُصُولَ الِانْقِيَادِ"(٢)، وقول الرازي بأن هذا الدليل من أقوى الأدلة ،كونه دليل القرآن، وكونه ينتفع به الخاصّة والعامّة، وأنه يضيف فوق كونه دليلا على وجود المعبود أنه يؤدي إلى محبة المعبود حيث يذكّر الإنسان بنعمة الله عليه في الخلق والإيجاد. هذا القول هو بلا ريب من إضافات الإمام الرازي البديعة.

ثالثا: **الحنابلة**: يؤيد الحنابلة دليل نظام الكون بقوة لكونه من أدلة القرآن ولأن براهينه قطعية، قال الإمام ابن تيمية: "بل السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات

(١) أسرار التنزيل وأنوار التأويل، الرازي، ص٢٨.

(٢) التفسير الكبير، الرازي: ٢/٣٣٣.

الصانع، ودلائل ربوبيته وقدرته، وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النُّظَّار"[١].

وفي كتابه مفتاح دار السعادة تحدث ابن القيم بتفصيل عن عجائب آيات الله في الجمع بين الذكر والأنثى، يقول:" وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبّة بينهما وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه وساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قرارا مكينا لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده"[٢].

كما نجد لدى الحنابلة أيضا الرد على الطبائعيين المنكرين للخالق[٣]، فهذا الإمام ابن الجوزي يرد عليهم بدليل نظام الكون؛ فيقول:" وأين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فتُرطّب الحِصرِم والخَلالة[٤]، وتنشّف البُرّ وتيبسّها ولو فعلت طبعا لأيبست الكلّ أو رطّبته فلم يتبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار والنضج في هذه للتناول، ثم إنها تبيّض ورد الخشخاش وتحمّر الشقائق[٥]، وتحمّض الرمان وتحلّي العنب والماء واحد وقد أشار المولى ﷻ إلى هذا بقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[٦][٧].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، احمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم: ٩٣/١.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيّم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن بن حسن، مكة، دار عالم الفوائد: ٥٤٠/١.

(٣) الطبائعيون: قوم ينسبون الخلق للطبيعة وأنها هي الفاعلة. قال التهانوي (فرقة يعبدون الطبائع الأربع أي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لأنّها أصل الوجود، إذ العالم مركّب منها وتسمّى هذه الفرقة بالطبائعية) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١١٣٠/٢.

(٤) الخَلالُ: البُسْرُ أَوَّلَ إدراكه. والحِصرِم: العِنَبِ: أَوَّلَهُ وَيَكُونُ عَادَةً أَخْضَرَ حَامِضاً.

(٥) الخشخاش: زهرة صغيرة تنبت في المناطق الباردة والشقائق: زهرة برية حمراء جميلة ارتبطت بالأدب العربي، ويكبيديا.

(٦) سورة الرعد، من الآية ٤.

(٧) تلبيس إبليس عبد الرحمن ابن الجوزي، بيروت، دار القلم: ص٤٢-٤٣.

رابعا: الفلاسفة ويعد ابن رشد أبرز من تحدث عنه وسمّاه بدليل العناية وهو الذي اشتهر به ونسب إليه وذاع في الأوساط العلمية. يلاحظ أن ابن رشد قد خطّ لنفسه مسلكا هو الأقرب إلى طريقة القرآن حيث نظر في دليله على وجود الله إلى معطيات الطبيعة وما تحتوي عليه من آيات وعلامات تدل دلالة واضحة على وجود عناية في الكون مما يبعد عنه تهمة الصدفة أو الاتفاق[١]، وينتهي ابن رشد بعد بحث طويل إلى تفضيل الطريقة التي سلكها القرآن في إقامة البرهان على وجوده –تعالى– لأنها الطريقة التي تصلح لجميع الناس وهي تنحصر في جنسين: أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان ويسميه (دليل العناية) والثاني: ما يظهر من اختراع في جوامد الأشياء الموجودات كاختراع الحياة من الجماد ويسميه (دليل الاختراع) ويرى ابن رشد أن كلا الأمرين يدل على وجود الله تعالى لأن خلق هذه الأشياء على صورتها لا يمكن أن يجري بطريق الاتفاق ولا بد له من فاعل حكيم وهنا يستشهد بكثير من الآيات القرآنية التي تنطوي على الاستدلال بهذين الدليلين فمن الأدلة على العناية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[٢]، ومن الآيات الدالة على الاختراع: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[٣]، وثمة آيات تجمع بين الدليلين كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[٤]، فإن قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تنبيه على دلالة الاختراع وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

(١) بين النزعة العقلية والنزعة الدينية في القراءات الرشدية المعاصرة، محمود كيشانه، ص٢٣.

(٢) سورة النبأ، الآيتان ٦–٧.

(٣) سورة الطارق، الآيتان ٥–٦.

(٤) سورة البقرة، الآيتين ٢١–٢٢.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

ﭐﻟۡﺄَﺭۡﺽَ ﻓِﺮَٰﺷٗﺎ ﻭَﭐﻟﺴَّﻤَﺎٓﺀَ﴾ تنبيه على دلالة العناية، ويرى ابن رشد أن هذه الأدلة أقوى في تحصيل المطلوب من سائر الأدلة الأخرى[١].

المطلب الثالث:

دليل نظام الكون عند المحدثين

ركّز علماء المسلمين المعاصرين على ذكر دليل نظام العالم، واعتمدوه بشكل لافت للنظر ضمن أدلتهم الأخرى التي يسوقونها في الاستدلال على وجود الله سبحانه. وسنقتصر هنا على بعضهم:

أولا: الشيخ نديم الجسر:

يرى الشيخ الجسر أن البراهين العقلية في الاستدلال على وجود الله صحيحة وصادقة، لكنها لا تتهيأ لكل إنسان؛ ولذا ينصح باعتماد دليل القرآن وهو دليل نظام الكون، فيقول:".. أنصح كل إنسان أن نلجأ في إثبات وجود الله إلى البراهين البديهية السهلة والواضحة، والتي يدركها العقل بدون أن يحتاج إلى الغوص في لجج الاستدلال والجدل ومن غير أن يعتريه ارتباك أو ملل "وهي البراهين التي أكثر من ذكرها القرآن، واعتمد عليها أكثر مما اعتمد على البراهين العقلية المركبة الأخرى" وبين السبب، فقال: "لأنه يستوي في إدراكها الجاهل الساذج والعالم الفيلسوف؛ أما الساذج فيدركها إجمالا، لبساطتها ووضوحها وبداهتها، وأما العالِم فيدركها تفصيلا ويعلم أن هذه البداهة في أدلة القرآن تعتمد على شواهد كثيرة تؤلف بمجموعها حكما عقليا يكون إنكاره بمثابة الإنكار لقضية رياضية صحيحة"[٢]. وبين الجسر معنى الفقه الحقيقي الذي لا يقتصر على العلم بالأحكام الشرعية فحسب بل يتناول الفهم للآيات الكونية الدالة على وجود الله

---

(١) الموجز في الفلسفة العربية، نديم بن حسين الجسر، طرابلس، نشر عزمي الشعراني، ١٩٥١م: ص١٧١، الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، سعيد عبد اللطيف فودة، القاهرة، دار الصالح، ط٢، ٢٠١٦م: ص٣٣٨.

(٢) نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، لبنان: دار الخلود، ط٣، ١٩٦٩م: ص٢٤١.

أيضا وعلى حكمته وعلمه وقدرته وإرادته، وأنه يجب على علماء الدين أن يطّلعوا على أسرار الوجود ونواميس الخلق ويرى أيضا أن إعجاز القرآن يتمثل في خطابه الذي يدركه البدوي البسيط في القرن السابع ويفهم أسراره رجل العلم في القرن العشرين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١)، وقد أراهم الله بالفعل تلك الآيات حتى رأينا علماء الغرب يؤلفون في ذلك المطوّلات(٢).

وتحت فصل "كلمات ربي" شرع الشيخ الجسر بسرد الآيات القرآنية الدالة على وجود الله وعلى تقرير صفاته في حوالي ثلاثين صفحة من كتابه.

أما أهم فصول الكتاب فهي الفصول الأخيرة منه والتي جاءت لتنفي حظ الصدفة العمياء في الخلق. وهنا أخذ الجسر تحت فصل: "في الآفاق" يطوف بين شتى الآيات والدلائل الكونية سواء في الآفاق أو في الأنفس، وهو في كل ذلك يؤكد على أن حقائق العلم لا يمكن أن تتنافى مع حقائق الدين، ومن الأمثلة: ما تحدث به عن الكواكب والشموس والأقمار وكيف أنها تسير بمداراتها المرسومة لها لا تزيد عليها ولا تنقص منها وتحدث عن الأرقام الفلكية المذهلة بما يخص حركتها وأحجامها وأنها مع ذلك متماسكة بواسطة قانون الجاذبية، لا عبر المصادفة العمياء.

ثم تحدث عن الأرض مبيّنا أسباب كونها الكوكب الوحيد الصالح للحياة بما حباها الله من كثافة وجاذبية وحركة وهواء وماء، قربها من الشمس معتدل، والحرارة تصلها معتدلة، وكثافتها تفوق كثافة كل السيارات بما فيها الشمس، وجاذبيتها معتدلة، ودورتها اليومية كذلك معتدلة من أجل إحداث نهار وليل معتدلين صالحين للسعي والراحة ودورتها السنوية معقولة وكافية لإحداث فصول معتدلة صالحة لإرواء الزروع وإنضاجها وأن الله جعلها قرارا وأنه لولا الجاذبية ما كان لهذه الأرض من قرار فهل كان

---

(١) سورة فصلت، من الآية ٥٣.

(٢) قصة الإيمان، الجسر: ص٢٤٣-٢٤٤.

اجتماع كل هذا أثرا للمصادفة أم هو من آثار القصد والعناية والتنظيم والإحكام؟[١] ويضيف عن الأرض بعد أن يصفها "بالفندق الكبير" الفندق الذي ننزل به في سفرنا من مهدنا إلى لحدنا.. الفندق الذي نجد فيه المأوى والدفء والنار والنور ومطعما يقدم لنا فيه أنواع المآكل والمشارب والمصنع الذي يقدم لنا الملابس التي تقينا قر الشتاء وحر الصيف ثم يتساءل بعد كل هذا:" ألست تلاحظ ما فيه من تصميم وعناية وإتقان؟"[٢].

إن قصة الايمان سفر جليل رسم فيه صاحبه منهج اليقين ووضح فيه طرائق الوصول الى الله عز وجل، كما انه يستهدف التصدي لنزعة وجدت لها مكاناً في عقول بعض المتفلسفين وهي ادعاء الهوة بين الدين والفلسفة والعلم، فجاء الكتاب يقرر حقيقة الانسجام بين هذه الثلاثة: (النظر العقلي الخالص، والبحث العلمي المجرد، والوحي الالهي المنزل)، والكتاب في تقريره لهذه الحقائق "ليس تراثاً فكريا قدر ما هو جهاد خالص لنصرة الحق، واعلاء كلمة الله".

وأسلوب الشيخ في الكتاب اسلوب مبتكر، فهو يقرب المعاني الى الاذهان من خلال حوار شيق يدور بين شاب ينشد الحقيقة اسمه حيران وبين شيخ متنور يأخذ بيده ليمهد له الطريق اسمه الشيخ ابو النور. الطالب يسأل والشيخ يجيب؛ فكان حصيلة ذا وذاك: قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن.

ثانيا: محمد الغزالي:

يذكر الغزالي في كتابه عقيدة المسلم عدة أدلة على وجود الله منها: دليل الإبداع في الكون. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ...﴾[٣]، ومنها دليل العناية ويضرب له مثلا بقوله: "لو دخل المرء دارا فوجد بها غرفة مهيأة للطعام وأخرى

(١) قصة الإيمان، الجسر: ص٣١٥-٣١٦-٣١٩.

(٢) قصة الإيمان، الجسر: ص٣٤٩.

(٣) سورة الغاشية، الآية ١٧.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

للمنام، وأخرى للنظافة، وأخرى للضيافة، لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده وأن هذا الإعداد لابد قد نشأ عن تقدير وحكمة وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل والناظر في الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب وأفاد منها الناس أجل الفوائد"، ويضيف قائلا كنتيجة لما سبق: "وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم حاسم في إبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق، كلا إن النظام الدقيق المختفي في طوايا الذرة مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد" ثم يستشهد بالقرآن على ما سبق منها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[1]، وأيضا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[2]، ثم ينتقل الشيخ إلى دليل آخر مستوحى من النظام والإتقان المحكم في الكون وكيف أن الكواكب تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا وكيف مع أنها كرات ثقيلة الحجم معلقة في الفضاء لا تسقط على الرغم من قانون الجاذبية تسير لا تقف وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل لكن لم يشاهد هذه الكواكب التي يزدحم الفضاء بها أن اصطدمت: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[3]، ثم يتساءل الشيخ: "من الذي هيمن على نظامها وأشرف على مدارها؟ بل من الذي أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجري بهذه القوة الفائقة"؟ فيجيب:

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان ٦١-٦٢.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان ١٢-١٣.

(٣) سورة يس، الآيات ٣٨-٤٠.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

"إنها لا ترتكز في علوّها إلا على دعائم القدرة ولا تطير إلا بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى" ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[1]، ثم يرى أن يسمي هذا الدليل بدليل الحركة نافيا أن تكون للجاذبية أي دخل في ذلك ويذكر إن دلالة كلمة الجاذبية من الناحية العلمية كدلالة حرف "س" على المجهول، إنها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ولكن الصمّ لا يسمعون[2].

وفي كتابه "ظلام من الغرب" يقرر الشيخ أن الغرض من البحث الكوني الذي طلبه القرآن هو الانتقال من الكون إلى المكوّن ومن المخلوق إلى الخالق[3]، ويرى أن المعرفة بالله لا تتم عن طريق البحث في كنه ذاته بل عن طريق البحث في آثاره فيقول: "إن القرآن الكريم جعل مجالي الطبيعة مدارس الإيمان وكلما استكثر المرء من حصيلة المعرفة الكونية ربا يقينه وزادت بالله معرفته" ويضيف:" وإنك لتعرف الشخص الذكي بآثاره العملية ولا تفكر في معرفة ذكائه بالكشف على تلافيف مخه؛ فإذا كان التعرف على قدر إنسان تبصره لا يتم بهذا الأسلوب فكيف بالتعرف على من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"[4]، ويخلص إلى النتيجة الآتية:" إن ذلك لا يتم إلا بالتأمل في آثاره ومطالعة صفاته في أرجاء خلقه الوسيع" ويضيف:" ولعل درسا في وظائف الأعضاء أو في دوران الأفلاك يكون أنجع في غرس الإيمان

(١) سورة فاطر، الآية ٤١.

(٢) عقيدة المسلم، محمد الغزالي، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م: ص ١٤، ١٥.

(٣) ظلام من الغرب، محمد الغزالي، تحقيق: محمد خالد القعيد، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م: ص٣٦.

(٤) ظلام من الغرب، محمد الغزالي: ص٣٤.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

وأدنى إلى التعريف بعظمة الله من بعض القراءات النظرية أو المقدمات الجدلية"(١)، ثم ينتقل الشيخ بعدها إلى تفنيد شبهة القول بالصدفة قائلا: "نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا" ويضرب الشيخ المثل بموقع الأرض من الشمس وكيف لو أنها ازداد قربها من الشمس لاحترقت أنواع الأحياء ولو بعدت المسافة لعمّ الجليد والصقيع وجه الأرض" ثم يتساءل مستغربا من القائلين بمحض الصدفة: "أفتظن إقامتها في مكانها ذاك لتنعم بحرارة مناسبة جاء خبط عشواء؟"، ثم ينتقل الشيخ إلى أمثلة أخرى تعزز من أدلته في نفي القول بالصدفة كموقع القمر من الأرض وكيف يرتبط هذا الموقع المناسب من تكوين ظاهرة المد والجزر ليكون القمر مصدرا للضوء وكيف لو أنه كان أكثر قربا من أمه – يقصد الأرض– لتحول القمر إلى مصدر للهلاك حين يقوم بسحب أمواج المحيطات سحبا يغطي به وجه اليابسة كلها فمن الذي أقام القمر على هذا المدى المحدود؟ ثم ينتقل إلى ضرب مثال آخر: عن الأوكسجين وكيف أنه لم ينفذ بفعل النبات الذي يأخذ ثاني أوكسيد الكربون ويعطي بدله الأوكسجين وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن في طبيعة الغلاف الهوائي. ثم يتساءل رحمه الله مرة أخرى:" أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه"؟(٢).

ثالثا: وحيد الدين خان:

ألف كتابه: "الإسلام يتحدى" تحت فصل جعله بعنوان:" الطبيعة تشهد بوجود الإله" ذكر فيه من الأدلة الكونية وآيات الآفاق الكثير منها موقع الأرض وموقع الشمس ومواقع النجوم وحركة الأفلاك وسرعتها الهائلة وأنها مع سرعتها في سيرها وكثرتها فإنها لا تصطدم مع بعضها البعض ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أن هذا الترتيب وهذا النظام

---

(١) ظلام من الغرب، محمد الغزالي: ص٣٤.

(٢) عقيدة المسلم، محمد الغزالي، ص١٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

لا يمكن للعقل أن يتصوره يحدث دون قوة تشرف عليه وطاقة عجيبة تهيمن عليه[١]، ثم ينتقل إلى الحديث عن الحواس في جسم الإنسان فيتحدث عن حاسة البصر والسمع والتذوق ويذكر أنه يوجد في الأذن عشرة آلاف خلية سمعية تجعلنا نسمع، وفي كل عين مائة وثلاثون مليونا من الخلايا الملتقطة للضوء تقوم بمهمة إرسال الصور إلى المخ وهناك شبكة من الأنسجة الحسية متمركزة في الجلد للإحساس بالحرارة والبرودة في الجسم فهل هذا كله جاء من غير ترتيب؟ ثم ينتقل إلى الحديث عن أمر يلفت الأنظار إليه وهو أن العلماء في العصر الحديث أخذوا يقلدون الطبيعة ويستفيدون من الترتيب ومن النظام الذي فيها لاكتشاف آلات وأجهزة تفيد البشرية منها فاخترعوا كاميرا للتصوير وهي في الواقع تقليد ميكانيكي لعين الإنسان واخترعوا آلة التنبؤ بالزلازل والفيضانات قبل وقوعها استنباطا من سمكة قنديل البحر وهي شديدة الحساسية تجاه الذبذبات الصوتية وهكذا أخذ علماء الطبيعة والتكنولوجيا يقلدون في تفكيرهم الحديث النماذج الحية في الطبيعة ثم ينتهي إلى الخلاصة من كل ذلك بأن العقل الإنساني إذا كان يحيل أن تكون أجهزة التصوير وتلقي الأخبار لا يمكن وجودها بغير عقل إنساني فمن المستحيل تصور نظام الكون وهو أكثر تعقيدا قد قام بنفسه بل لابد أن وراءه مهندسا أعظم هو الإله وأنه لا يتصور أن يوجد نظام بلا منظم ثم ينتهي إلى القول: "فليس من اللامعقول أن نعتقد بوجود منظم للكون بل اللامعقول أن ننكر خالق هذا النظام فالحقيقة أن العقل الإنساني لا يملك أساسا عقليا لإنكار الإله"[٢]، وتحت فصل بعنوان: "قانون ضبط التوازن" يتحدث فيه عن نسب الغازات واحتفاظها بمقاديرها المتناسبة التي لولاها لما وجدت أصلا حياة. فمثلا لو زادت نسبة الأوكسجين إلى

---

(١) الإسلام يتحدى مدخل علمي الى الإيمان، وحيد الدين خان، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة: ص٥٧.

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٦٦.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

٥٠% بدلا من ٢١% لزادت قابلية الاحتراق بحيث يصير احتراق غابة بأكملها في لحظات أمر حتمي ولو انخفضت النسبة إلى ١٠% لما ازدهرت الحضارة فوق هذا الكوكب ثم يقول الباحث إن الأوكسجين والهيدروجين وثاني أوكسيد الكربون تشكل معا عناصر وغازات عظيمة الأهمية للحياة الحيوانية والإنسانية وبناء عليه لا يوجد احتمال واحد إلى عشرة ملايين أن تجتمع في تناسبها المطلوب وبجميع خصائصها اللازمة للحياة بطريق الصدفة(١).

وينقل عن أحد كبار علوم الطبيعة قوله:" إن العلم لا يملك أي تفسير للحقائق والقول بأنها حدثت اتفاقا إنما يعتبر تحديا وتصادما مع الرياضيات"(٢)، ومن الأشياء الجميلة في الكتاب أنه لولا النظام ما استطاع العلماء من اكتشاف القوانين أصلا فمثلا درجة غليان الماء هي ١٠٠ مادام ضغط الهواء ٧٦٠ مليمتر؛ فلو كان ضغط الهواء أقل فستنخفض درجة الغليان، لأننا سوف نحتاج إلى طاقة أقل لتوفير الحرارة التي تدفع جزيئات الماء وتعطيها صورة البخار وعلى العكس لو كان ضغط الهواء أكثر من ٧٦٠ ملم فستزداد درجة الغليان والعلماء كرروا هذه العملية ورأوا أنها تعطي نفس النتائج إلى أن تمكنوا من استخراج قانون الغليان فيستطيع أي عالم أن يقول بشكل قطعي إن درجة حرارة غليان الماء هي ١٠٠مْ لأنه بعد هذه الدرجة سيتبخر، والمهم من كل ما سبق أن الكون فيه سنن رياضية محكمة وأنها لا يمكن أن تجري على غير نظام وأنه لو لم يكن هذا النظام والنسب الحسابية المضبوطة في المادة وعمليات الطاقة لما وجد الإنسان أسسا يقيم عليها كشوفه ومنجزاته العلمية ولولا هذا النظام والضبط لحكمت عالمَنا الاتفاقات والصدف المحضة! ولكان من المستحيل على علماء الطبيعة أن يقولوا: إنه

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٧٥.

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٧٥.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

بمباشرة عمل ما في حالة معينة؛ تحصل نتيجة كذا[١]، وهذا معناه أن القوانين التي اكتشفها العلماء لتكون أساسا لإنكار الإله هي ذاتها تكون الدليل على وجود إله وأنه لولا اطراد تلك القوانين وفق سنن محكمة أرادها مقننها لها؛ لما استطاع أن يخرج الإنسان بأي قانون يسخره لخدمة حياته ولبقي أسير الأوهام أو أسير القول بالصدفة. إن القول بالصدفة في ظل وجود هذه القوانين المحكمة معناه إلغاء للفكر وتعطيل للعقل. ويستخدم وحيد الدين خان قول بعض العلماء المؤمنين ضد العلماء القائلين بالصدفة فلما قال هكسلي: "لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة وظلت تضرب على حروفها لملايين من السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير! فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين" فيرد عليه خان بأن هذا الكلام لغو ويأتي بمثال وهو أن الرياح عندما تهب تصل حبوب اللقاح من وردة حمراء إلى وردة بيضاء لتأتي بوردة صفراء فأين الصدفة في هذا؟ إن وجود الوردة في الأرض بهذا التسلسل ثم ارتباطها المدهش مع نظام الكون لا يمكن تفسيره بهبة رياح صدفة كيف وهي قد أتت بوردة صفراء ولكنها لم تأت بالوردة نفسها؟!

إن القول بالصدفة في تفسير الكون باطل كل البطلان، ويستشهد خان بقول البروفيسور ايدوين كونكلين في رد الصدفة:" إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة[٢].

ثم يأتي بقول عالم آخر هو العالم الأمريكي الشهير كريسي موريسون: "لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها الأعداد من ١ إلى ١٠ ثم رميتها في جيبك وخلطتها

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٧٨.

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٨٥.

جيدا ... فإمكان أن تتناول الدرهم المكتوب عليه (١) في المحاولة الأولى هو واحد على عشرة وإمكان أن تتناول الدرهمين (١، ٢) بالترتيب واحد في المائة وإمكان أن تخرج الدراهم (١، ٢، ٣، ٤) بالترتيب هو واحد في العشرة آلاف حتى إن الإمكان في أن تنجح في تناول الدراهم ١ إلى ١٠ بالترتيب واحد في عشرة بلايين من المحاولات"!! ثم استطرد موريسون قائلا: "إن الهدف من إثارة مسألة بسيطة كهذه ليس إلا أن نوضح كيف تتعقد الوقائع بنسبة كبيرة جدا في مقابل الصدفة"[1]، وثمة علماء آخرون تحدثوا عن دليل نظام الكون منهم على سبيل المثال لا الحصر أحمد زكي في كتابه: "مع الله في السماء"، والعقاد في كتابه "الله"، والبوطي في كتابه " كبرى اليقينيات الكونية"، والدكتور محمد عياش الكبيسي في كتابه "المحكم في العقيدة" وغيرهم كثير.

المطلب الرابع:

أهم الإضافات والاعتراضات على دليل نظام الكون

أولاً: أهم الإضافات على الدليل في الوقت الحاضر:

أثبت العصر قوة هذا الدليل، فالاكتشافات العلمية المعاصرة التي أريد لها تأييد الإلحاد والملحدين انقلبت بالضد لتكون دليلا لأهل الحق في دعم الإيمان مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[2]، فالعلوم الطبيعية التي لا تسلّم الا بما يقع في دائرة التجربة والاختبار، قامت بمدّنا حقاً بشواهد لا ريب فيها على صحة دليل نظام الكون، وبالنظر في طرح المتكلمين قديما وحديثا في دليل النظام الكوني يتبين لنا ما يلي:

١- تجدد الطرح العقائدي بتجدد المعطيات العلمية المعاصرة وإذا كان لكل عصر طبيعته؛ فإن العصر اليوم هو عصر العلم. فقد كان العلماء في العصور السابقة

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص٨٠.

(٢) سورة فصلت، من الآية ٥٣.

ينظرون إلى النظام الكوني نظرة عامة كما يقول الشيخ الجسر. ينظرون إلى المادة في ظاهرها ولا ينفذون إلى باطنها. يرون العناصر وتعددها وتركيبها من غير أن يدركوا السر في تنافرها وتجاذبها يبصرون النور ظاهرا يبصرون البحر والسماء والطير والماء والهواء وحتى الإنسان نظرة ظاهرة أما في العصر الحاضر فقد أضاف أهل العلم إلى دليل النظام عمقا في التفاصيل ودقة في ملاحظة الأشياء كالقوانين الطبيعية وتعقيد أجهزة الجسم والتكامل بين أجزاء الكون.

٢- تفنيد الشبهات ورد الاعتراضات كالقول بالصدفة ومشكلة الشر من خلال دليل نظام الكون والتصميم المعقد مع ذكر الشواهد العلمية.

٣- أخذ علماء المسلمين باستنتاجات علماء الغرب المؤمنين دون أن يجدوا في ذلك غضاضة مادام ذلك يؤيد الحق ويشهد له.

ثانياً: أهم الاعتراضات الواردة على دليل نظام الكون ومناقشتها:

يطرح الملاحدة إشكالات واعتراضات عديدة ومختلفة لتفنيد دليل النظام، منها: "**القول بالصدفة**" وفرضية **الأكوان المتعددة، ووجود القوانين الطبيعية يغني عن وجود الخالق** وأخيرا: **الاعتراض بالشرور.**

الاعتراض الأول: القول بالصدفة:

يثير الملاحدة القول بالصدفة ويفسرون به النظام المحكم. وهل يمكن للصدفة أن تأتي بالنظام؟ هذا ما يدعيه بعض الملاحدة[١]، وقد تم رد هذا القول وتفنيده سابقا فلا نعيده مرة أخرى[٢].

---

(١) أهم من يمثلهم في العصر الحديث: ريتشارد دوكنز وهو عالم أحياء بريطاني. يصف دوكنز العمليات التطورية بأنها "صانع ساعات أعمى" في التكاثر والتحوّر والاختيار، باعتبارها عمليات غير موجهة من أي مُصمّم.

(٢) ينظر: الحديث عن الصدفة والرد عليها لدى نديم الجسر والغزالي ووحيد الدين خان في هذا البحث.

الاعتراض الثاني: فرضيّة الأكوان المتعددة

بعد كل الأدلة التي ظهرت في القرن العشرين، وأيّدت بقوّة وجود بداية للكون ومن ثمّ فلا بد له من علّة لوجوده «خالق»، نجد الملحد يرفض وجود الإله، ويحتج بفرضية الأكوان المتعددة وهي لم تثبت، حيث تشير هذه الفرضية إلى وجود أكوان متعددة وكل كون له قوانينه الخاصة به ومن بين ملايين الأكوان وجد كوننا هذا صدفة، وتتميز هذه الفرضية بأنها لا تتفق البتّة مع قوانين المنهج العلمي القائم على الرصد والمشاهدة، فالنظرية التي تقوم على عناصر هي من حيث المبدأ غير قابلة للرصد لا يمكن وصفها بأنها علمية، ففرضية الأكوان المتعددة فكرة غيبية تتطلب التسليم والإيمان وليست علما يتطلب الدليل، ويدعي من يقول بالأكوان المتعددة بشمولية المادة –كل شيء يُردّ إلى المادة– وأي تفسير خارج عنها فهو علم زائف لديهم، فالدين عندهم وما به من أفكار وطروحات هو علم زائف لا يستحق أن يكون في دائرة العلم، مع أننا قد رأينا أن فكرتهم نفسها هي في الأساس لا تتبع منهجهم الذي يسيرون عليه، فهي تدخل نطاق الميتافيزيقيا لا الفيزياء، ولا تتضمن دليلا واحدا أو حتى جزء من دليل تجريبي واحد، وهذا ما يميز الدين عنها، ففرضية الأكوان المتعددة كميتافيزيقا يستدل بها الملاحدة على عدم وجود خالق «ميتافيزيقا»، أي : استدلال بغائب على وجود غائب وهو شيء غير منطقي، بينما الدين يستدل بشيء واقعي طبيعي على شيء ميتافيزيقي، حيث يستدل بنظام الكون على شيء ميتافيزيقي «وجود الخالق»، أي: هي استدلال بحاضر على غائب، وهو أمر معلوم صحته ومنطقيته لدى العقلاء(١).

(١) الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، الرياض: مركز دلائل، ط٢، ٢٠١٧م: ص١٩٩–٢١٦.

نظرية الانفجار الكوني:

من النظريات العلمية المزعجة للملحد والتي جعلته يلجأ إلى فرضيات لا تتوافق مع المنهج العلمي من الأساس: نظرية الانفجار العظيم التي تشير إلى أن الكون كان في الماضي عبارة عن جزء واحد –مفردة– ذي حجم ضئيل جدا أقل من حجم الذرة، وذي درجة حرارة عالية جدّا حيث ينهار عندها كل شيء وتذوب مكوّنات الكون في هذا الجزء الضئيل، وقد انفجرت هذه المفردة منذ ١٣,٧ مليار سنة، وشكّلت الكون، ولكن الانفجار هذه المرّة ليس كالانفجار الذي نعهده حيث تتشتت الأجزاء وتتبعثر في مختلف الاتجاهات، العجيب أنّه انفجار ذو دقة عالية حتى قال العلماء أنه "لو اختلفت نسبة التمدد التي عقبت الانفجار بحيث زادت نسبة التمدد بنسبة جزء من مليون في مليار، أي واحد بعد خمسة عشر صفرا من العلامة العشرية ، لتبعثرت أجزاء الكون ولما سمح له بالوجود ولو قلّت نسبة التمدد بنفس المقدار لانهار الكون أيضا"[١]، والحاصل أن التمدد الذي جاء بعد الانفجار كان ينبغي أن يكون بمقدار معين لا أكثر ولا أقل حتى يسمح للكون بالوجود، وقد جاء كذلك، ولو زاد مقدار التمدد الذي أعقب الانفجار أو قلّ لانهار الكون، فأي إتقان هذا؟ وهل يمكن أن تكون هذه الدقّة كلها بلا هدف؟ وإنما أشرنا إلى هذه النظرية لنبيّن أن الملحدين بعد بزوغها وقعوا في مأزق جعلهم يلجؤون إلى فرضيات موهومة تخالف منهجهم العلمي، وفي هذا الصدد نشير إلى قول الفيلسوف أنتوني فلو: "من المعروف أن الاعتراف يفيد النفس، ولذا، سأدلي باعترافي: إن على الملحد أن يشعر بالحرج من الإجماع العلمي الحديث على نموذج الانفجار العظيم، إذ يبدو أن علماء الكونيّات يقدمون الدليل العلمي على وجود بداية للكون"[٢].

---

(١) الصنع المقتن، مصطفى قديح، ص ٥٤.

(2) Richard monestarsky, mysteries of the orient Discover, April, 1993. p40.
نقلا عن مصطفى قديح، الصنع المتقن.



ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

الاعتراض الثالث:

القوانين الطبيعية كالجاذبية وغيرها سببٌ كافٍ لتفسير نشأة الكون، والكون يعمل طبقا لتلك القوانين ويتصرّف بناء على وجودها.

الرد: لا مانع في عقيدتنا من أن يسيّر الله الكون بالقوانين، وإن دلّ هذا على شيء فيدل على دقة التصميم، فالقوى الكونية كالجاذبية كلها جاءت على مقدار معين يناسب الحياة ولو زادت أو قلت لانهار الكون. فتصوُّر أن وجود القوانين يغني عن وجود الخالق تصورٌ موهوم، إذ لا بد للقانون من مقنن، أضف إلى ذلك أن القوانين لا تخلق شيئا وإنما هي تصف الظواهر الطبيعية، فالكرة لا تتحرك بسبب قانون الحركة لنيوتن وإنما هناك ضارب هو من قام بتحريك الكرة، كذلك فإن القول بأن القوانين الطبيعية قد خلقت الكون يعطيها دلالات ميتافيزيقية، فالقوانين حتى تخلق الطبيعة لا بد أن تكون خارج الطبيعة وخارج الزمان وذلك مناقض لطبيعتها تماما.

الاعتراض الرابع:

إذا كان هذا الخالق هو من خلق الكون بهذا الشكل ليحيا الانسان حياة طيبة، فبماذا نفسّر هذه الشرور الطبيعية، كالبراكين والزلازل والمجاعات؟

وللرد على هذا الاعتراض نقول:

إن وجود الشر في الأساس لا يتعلق بوجود الإله وإنما يتعلق بصفة العدل والرحمة والقدرة لدى الخالق، والإله في تصورنا بما أنه حكيم، فقد يسمح بوجود جزء من الشرور لحكمة أرادها، والإنسان ما جاء في هذه الحياة لينال النعيم الخالد وإنما هي دار ابتلاء، ولكن يحق لنا أن نسأل قبل كل شيء كيف أدرك الإنسان بأن البراكين شر أي: لماذا حكم عليها بأنها شر؟ لماذا يتفق جميع الناس بأن -البراكين والزلازل- مثلا شر؟ ما هو مصدر اتفاقهم هنا؟ أليس في ذلك دليل على وجود أخلاق مطلقة يتفق عليها

جميع البشر؟ وهنا السؤال: ما مصدر تلك الأخلاق المطلقة؟ وكيف يمكن تفسيرها تجريبيا؟[١]

أخيرا نقول: إن اكتشاف الأدلة المتعددة على الصنع المتقن جعل الكثير من علماء الفيزياء والفلك يلجؤون إلى الخالق ويتركون الإلحاد، وفي هذا حجة لبيان دليل نظام الكون، يقول الفيزيائي بول ديفيز[٢]، مشيرا إلى ما وصل إليه خلال مسيرته العلمية: "توصلت من خلال عملي العلمي إلى الإيمان بقوة متزايدة بأن الكون الطبيعي موضوع ببراعة مدهشة للغاية، حتى إنني لا يمكن قبوله كحقيقة صمّاء"[٣]، فهو يرى أن الإيمان بالخالق هو التفسير الأكثر منطقية للتصميم المعقّد في كوننا، كما أشار الفيلسوف انتوني فلو عندما سئل عن سبب تحوله من الإلحاد إلى الايمان بالخالق فأجاب أن شدّة التعقيد في اللولب المزدوج (DNA) كان لها أثر كبير في تركه للإلحاد حيث يقول: "في نظري آليات عمل الدنا هي من أشد الأمور المدهشة تعقيدا، ولا بد من تدخل الذكاء لعمل هذه الأمور وتنوعها"[٤]، ويصف الدكتور محمد باسل الطائي أثر اكتشاف دقة قوانين الطبيعة على علماء الفيزياء والفلك فيقول: "لقد جاءت هذه الالتفاتة العقلية المهمة حديثا في الغرب خلال عقد الثمانينات الماضي، ولدت كنتيجة منطقية صرفة لعلاقات الترابط الدقيق بين ثوابت الخلق بعضها ببعض، والتي كانت غايتها على ما يبدو بوضوح هي نشوء الحياة على هذا الكوكب، في هذه المجموعة الشمسية،

---

(١) العلم التجريبي يكشف لنا مثلا الدواء، ولكن نحن لا نحكم على الدواء بأنه خير مطلق من مصدر تجريبي، لأن اتفاق الناس على جملة من الأخلاق يقع خارج إطار المنهج التجريبي أساسا.

(٢) فيزيائي بريطاني معاصر ومشهور وأستاذ جامعي. ينظر: موسوعة ويكيبيديا.

(3) Paul Davis, the mind of God, New York, touchstone, 1992 p16.
نقلا عن مصطفى قديح، الصنع المتقن: ص٣٤١.

(4) https://youtu.be/qoYewTXdoIk

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

في هذه المجرة، في هذا الكون"[١]، وهكذا نجد أن الاكتشافات العلمية تدعم وبقوة دليل النظام مما قاد العديد من الملاحدة واللاأدريين إلى الإيمان بالخالق، ونقول الملاحدة الباحثين عن الحقيقة، المتجرّدين من الهوى والغرور، ونختم بهذا النص للفلكي والفيزيائي روبرت جاسترو[٢]، الذي وصف صدمة علماء الطبيعة في القرن العشرين وأثر الاكتشافات العلمية في دحض مسلّمات الالحاد: "بالنسبة للعالِم الذي عاش بإيمانه في قوة العقل تنتهي القصة كحلم مزعج فهو قد تسلّق فوق جبال من الجهل وهو على وشك تخطي أعلى قمة فيها وبينما يحمل نفسه لتخطي الصخرة الأخيرة إذ تحييه فرقة من علماء الدين والذين كانوا هناك منذ قرون"[٣].

(١) أوهام الإلحاد العلمي هل تتعارض الكشوفات العلمية مع الإيمان بالخالق، محمد باسل الطائي، الرياض، مركز دلائل، ط٢، ٢٠١٧م: ص١٩٧.

(٢) فلكي وفيزيائي أمريكي معاصر كان عالما في وكالة ناسا توفي عام ٢٠٠٨. ينظر: موسوعة ويكيبيديا.

(3) Robert jastrow, God and the astronomers, p.16

نقلا عن المقطع المنشور في قناة مركز براهين : https://youtu.be/2OOJhA0_Ybg

الخاتمة

مما سبق من بحث يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

١- إن دليل نظام الكون دليل قديم ومتجدد، قديم بالمادة الكلامية التي استدل بها علماء المسلمين القدامى ومتجدد من حيث الإضافات في تجديد بنية الدليل بالإفادة من المعطيات العلمية المعاصرة.

٢- أضاف أهل العلم إلى دليل النظام عمقا في التفاصيل ودقة في ملاحظة الأشياء كالقوانين الطبيعية وتعقيد أجهزة الجسم والتكامل بين أجزاء الكون.

٣- يعد دليل النظام دليلا مستقلا بذاته على وجود الله كما ينهض لتفنيد الشبهات ورد الاعتراضات كالقول بالصدفة والاحتجاج بالشر.

التوصيات

١- طريقة عرض القرآن لدليل النظام تتسم بالحيوية والتنوع، لا بالرتابة والجمود فهي تتنقل بين شتى الصور المنتزعة من الإنسان والطبيعة؛ لتقيم الدليل من هذا وذاك على وجود الخالق. فالداعية يستطيع أيضا أن يتنقل بين مئات الصور الكونية ويصوغها بأسلوبه الأدبي بما يدعم الإيمان بالله ويعززه.

٢- مراعاة الفروق في مستويات الخطاب، فكلّ فئة تخاطَب بما يناسبها، العلماء والمفكرون لهم خطابهم اللائق بمستواهم. ومواجهة الملحدين يتم بخطاب علمي وفلسفي قائم على الحجج العقلية والبراهين المنطقية، والجمهور لهم خطاب خاص بمستواهم.

٣- مطالعة آخر الاكتشافات العلمية أمر ضروري لتعزيز الاستدلال على وجود الله مع توضيحها وتقديمها بأبسط صورة في الساحة الدعوية.

٤- لا ينبغي التسرع في تفنيد الشبهات الإلحادية المعاصرة قبل النظر في طبيعة الشبهة ذاتها، إذ أن أغلب ملاحدة الغرب نشأوا في بيئة دينية

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

مناهضة للعلم، فأثاروا شبهات مناهضة لتصورات الكنيسة، وهي ليست محل إشكال لدينا.

٥- اقتباس ما يدعم الإيمان بوجود الله من مفكري الغرب مهم في الرد على الملحدين ومنكري الأديان. لذا نرى مفكرا مثل "أنتوني فلو" وقد كان كبير الملحدين في العصر الحديث أحدث ضجة في الأوساط العلمية حين ترك الإلحاد. والقضية لا تتعلق بترك شخص ما لمعتقده وإنما بالأدلة التي ساقته لترك اعتقاده.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق محمود محمد الطناحي، الكويت، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإعلام، ط٢، ١٩٩٣م.

٢. التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

٣. دلائل أصول الإسلام: سلطان العميري، تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٨هـ.

٤. الله: عباس محمود العقاد، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م.

٥. أسرار التنزيل وأنوار التأويل: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق الدكتور احمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٤، ٢٠١٦م.

٦. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين: محمد عياش الكبيسي، رسالة دكتوراه، ١٩٩٥م.

٧. الحكمة في مخلوقات الله: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق الدكتور محمد رشيد قباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٧٨م.

٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، تفسير سورة الملك.

٩. رحلة عقل: عمرو شريف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠١١م.

١٠. العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٢م.

ISSN (Print): 2071-6028 ISSN (Online): 2706-8722

١١. التفسير الكبير: محمد فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
١٢. إيثار الحق على الخلق: أبي عبد الله محمد بن مرتضى اليماني، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م.
١٣. ركائز الإيمان: محمد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠١م.
١٤. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن احمد، تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م.
١٥. مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.
١٦. الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مكتبة الكليات الأزهرية.
١٧. الملل والنحل: أبي الفتح محمد عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٨م.
١٨. الزنادقة، عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم: سعد بن فلاح العريفي، الرياض، دار التوحيد للنشر، ١٤٣٣هـ.
١٩. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مصر، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٥م.
٢٠. درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٩٩١م.

٢١.مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن بكر بن ايوب ابن القيم، اختصار: محمد ابن الموصلي، لبنان، دار الكتب العلمية.
٢٢.مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم، لبنان، دار الكتب العلمية.
٢٣.كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي بن محمد حامد الحنفي التهانوي.
٢٤. تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد ابن الجوزي، بيروت، دار القلم.
٢٥.بين النزعة العقلية والنزعة الدينية في القراءات الرشدية المعاصرة: محمود كيشانه.
٢٦.الموجز في الفلسفة العربية: نديم بن حسين الجسر، طرابلس، نشر عزمي الشعراني، ١٩٥١م.
٢٧.الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة: سعيد عبد اللطيف فودة، القاهرة، دار الصالح، ط٢، ٢٠١٦م.
٢٨.قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: الشيخ نديم الجسر، لبنان، دار الخلود، ط٣، ١٩٦٩م.
٢٩.عقيدة المسلم: محمد الغزالي، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م.
٣٠.ظلام من الغرب: محمد الغزالي، تحقيق: محمد خالد القعيد، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٥م.
٣١.الإسلام يتحدى مدخل علمي الى الإيمان: وحيد الدين خان، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة.

٣٢.الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق: مصطفى نصر قديح، الرياض: مركز دلائل، ط٢، ٢٠١٧م.

٣٣.أوهام الإلحاد العلمي، هل تتعارض الكشوفات العلمية مع الإيمان بالخالق: محمد باسل الطائي، الرياض، مركز دلائل، ط٢، ٢٠١٧م.

المصادر الأجنبية:

1. Richard monestarsky, mysteries of the orient Discover, April 1993.
2. Paul Davis, the mind of God, New York, touchstone, 1992.
3. Robert Jastrow, God and the astronomers

مصادر الإنترنيت:

https://youtu.be/qoYewTXdoIk

https://youtu.be/2OOJhA0_Ybg

